2 – معالم من شخصيّة السيدة فاطمة الزهراء (ع) في القرآن الكريم

Features of Sayeda Fatima's personality, peace be upon her, in the Qur'an

بقلم الطالبة: نوال الحاج دياب

طالبة دكتوراه، الجامعة الإسلاميّة، خلدة، كليّة الدراسات الإسلاميّة

Nawaldiab7262@gmail.com

تاريخ الاستلام: 8/30 /2024 تاريخ القبول: 9/10 /2024

مستخلص البحث:

لأنها فاطمة ، بضعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وزوج علي الكرار عليه السلام ، وأم الأئمة الأطهارعليهم السلام. هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين والأنموذج الأكمل للمرأة المسلمة ، كان هذا البحث . ولأن القرآن الكريم كتاب الله وآيته التي نزلت على رسولنا الكريم ومعجزته التي تحدى بها الخلق إلى يوم القيامة ، وجدنا أن أفضل ما يكتب عن السيدة الزهراء هو ما وصفها الله تعالى به في محكم كتابه . بالرغم أنه لم يذكر اسمها فيه كما ذكر اسم مريم عليها السلام ، إلا أنه هناك من الآيات التي نزلت بحقها وحق أهل البيت عموما وآيات نزلت بحقها بشكل خاص ، والتي تتناول جوانب عدة من شخصيتها عليها السلام رأينا أن لا كلام يعلو على القرآن وأن يتناول بحثنا السيدة فاطمة في القرآن الكريم. وتكمن أهمية البحث في شخصية الزهراء

عليها السلام ما قاله الرسول الأكرم عنها « يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها» و « فاطمة حوراء أنسية» وغيرها من الأحاديث التي تصف مكانتها العظيمة والقدسية التي أحاطها الله بها .

فالفكرة الأساسية التي سننطلق منها هي تفسير موضوعي للآيات التي أجمع المفسرون من مختلف المذاهب أنها نزلت بحق أهل بيت النبوة والذي تعتبر السيدة فاطمة هي المحور الأساس له ، والآيات التي تتحدث عنها (سورة الكوثر) . وسنحاول العمل بذلك وفق منهجية هذا التفسير الذي كان رائدة السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره الشريف . والجوانب التي سيتم الإضاءة عليها هي :

1 – عصمتها وعبادتها وعلاقتها بربها (آية التطهير)

2 – مكانتها العاطفية بالنسبة للرسول الأكرم (آية المودة)

3 – مكانتها في الدعوة الإسلامية (آية المباهلة)

4 – تطبيقها لكل ما تؤمن به، أو علاقتها بمجتمعها (سورة الإنسان)

5 – أهميتها كون ذرية الرسول الأكرم أتت من نسلها (سورة الكوثر)

وبالطبع سيتم الاعتماد على التفاسير المعتبرة في مذهب الإمامية كتفسير الميزان للطبطبائي ومجمع البيان للطبرسي وعند العامة كتفسير المنار للشيخ محمد عبده وتفسير الجلالين لسيد قطب وتفسير إبن كثير ، وعملنا سيقتصر على ترتيب وتبويب هذه التفاسير لنخرج بصورة متكاملة عن شخصية تلك المرأة العظيمة التي جعلها الله منبع الإمامة ومحور بيت النبوة ومنهج الاستقامة والتي ستبقى منارة يهتدي بها ليس النساء فقط بل الرجال أيضا على مدى التاريخ .

كلمات مفتاحية: العبادة، العصمة، المكانة الاجتماعيّة، المكانة العلميّة

Abstract:

Because she is Fatima, daughter of Prophet Muhammad, Ali al-Karrar's wife, peace be upon him, and pure Imam's mother, peace be upon them. She is Sayedat Nisa' al-Alamin (mistress of the women of the first and last of the worlds) and the perfect model for Muslim women. Because the

Holy Qur'an God's book , the revelation revealed to our Holy Prophet and his miracle that challenged the creation until the doomsday , we found that the best thing to write about Sayeda Zahraa is what Allah described her in his book. Although her name was not mentioned in it as Mariam, peace be upon her, but there are some verses that were revealed against her and Ahl al-Bayt in general and verses that were revealed against her in particular, which deal with several aspects of her personality, we saw that no word is higher than the Qur'an and that our research deals with Sayeda Fatima in the Holy Qur'an. The importance of researching the personality of Zahraa, peace be upon her, lies in what the Prophet said about her, "God is pleased with her satisfaction and angry with her anger," and "Fatima is Hawraa Ensiya" and other hadiths that describe her great status and the sacredness that God has surrounded her with.

So the main idea from which we will start is an objective interpretation of the verses that the exegetes of different sects agree that they were revealed about the Ahl al-Bayt al-Nabuwwah, of which Sayeda Fatima is the central focus, and the verses that talk about her (Surah al-Kawthar). We will try to work according to the methodology of this interpretation, which was pioneered by Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr, may his soul rest in peace. The aspects that will be highlighted are:

1- Her infallibility, worship, and relationship with her God (purification verse)

2- Her emotional status in relation to the Holy Prophet (the verse of affection)

3- Her place in the Islamic call (the Mubahala verse)

4- Her application of everything she believes in, or her relationship with her community (Surat al-Insan)

5- Her importance as the offspring of the Holy Prophet came from her offspring (Surah Al-Kawthar)

Of course, reliance will be placed on interpretations that are considered in the Imamiyyah doctrine, such as Tafsir al-Mizan by Tabataba'i and

Majma'at al-Bayan by Tabarsi, and among the general public, such as Tafsir al-Manar by Sheikh Muhammad Abduh, Tafsir al-Jalalain by Sayyid Qutb, and Tafsir Ibn Kathir, and our work will be limited to arranging and categorizing these interpretations to produce an integrated picture of the personality of that great woman who God made the source of the Imamate and the center of the Prophet's house and the path of rectitude that will remain a guiding light for not only women but also men throughout the history.

Keywords: Worship, infallibility, social status, scientific status

1. مقدمة:

لأنها الحوراء الإنسية وروح نبينا محمد (ص) التي بين جنبيه وهي كل الحُسن الذي خلقه الله تعالى والتي يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. ولأنها صنو علي (ع) وزوجه وأم الأئمة عليهم السلام. لأنها كل ذلك وأكثر كان هذا البحث الذي يتناول جانبا من عظمتها وقدسيتها ومحوريتها في الإسلام. فالزهراء (ع) محور بيت النبوة وهي صلة الوصل بين النبوة والإمامة، وهي المرأة الوحيدة عبر التاريخ التي عصمها الله تعالى من الخطأ والزلل وفوق كل ذلك هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين . ولأن القرآن الكريم كتاب الله وآيته التي نزلت على رسولنا الكريم ومعجزته التي تحدى بها الخلق إلى يوم القيامة، وجدنا أن أفضل ما يكتب عن السيدة الزهراء هو ما وصفها الله تعالى به في محكم كتابه، بالرغم من أنه لم يذكر اسمها فيه صراحة كما ذكر اسم مريم عليها السلام، إلّا أنه هناك من الآيات التي نزلت بحقها وحق أهل البيت عموما وآيات نزلت بحقها بشكل خاص، والتي تتناول جوانب عدة من شخصيتها عليها السلام. وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يتناول أعظم امرأة عبر التاريخ، وهي المحور الذي تدور حوله النبوة والإمامة، إضافة إلى أنها القدوة والأسوة لجميع البشر وليس فقط للنساء، زمنها نستلهم الدروس والعبر . ويكفيها من العظمة أنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها .

إشكالية البحث

تنطلق إشكاليّة هذا البحث من أنّ السيدة الزهراء عليها السلام والتي هي تمثل الرابط بين النبوة والإمامة، وتحتلّ مرتبة عالية عند جميع المسلمين كونها بضعة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم كما عبر عن ذلك مرارا وانها أمّ أبيها إلى ما هنالك من أحاديث نبوية تدلنا على هذه المكانن السامية لها. لكن رغم ذلك نرى أنّه لم يذكر اسمها صريحا في القرآن الكريم، بل ذكرت ضمن سياق الآيات القرآنيّة الّتي نزلت بحقّ أهل بيت النبوّة عليهم السلام كما ورد في كتب علماء الشيعة ومفسري القرآن الكريم. فبعض المفسّرين يقول إنّ ليلة القدر هي السيدة فاطمة عليها السلام، وكذلك آية الله نور السماوات والأرض تفسّر على أن الزيتونة هي الزهراء وغيرها الكثير من الآيات والتي لا يسعنا في هذا البحث تناولها وشرحها وتبويبها وسنقتصر على الآيات القرآنيّة التي نزلت بحقّ أهل البيت عليهم السلام التي توافق المفسّرون على سبب وكيفية نزولها، من علماء الشيعة والعامّة كما سيرد في البحث، وبطبيعة الحال فإنّ السيدة الزهراء مشمولة بها كونها خامسة أهل الكساء. والسور القرآنيّة وبالتحديد سورة الكوثر. ثمّ سنعمد إلى طريقة التفسير الموضوعي للقرآن التي كان رائدها الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، لنخرج بخلاصة نلقي فيها الضوء على مختلف جوانب شخصيّة السيدة الزهراء عليها السلام والدروس العمليّة التي نستقيها منها في حياتنا لأنّها الزيتونة التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولا يزال نوره مشعًّا حتى يومنا هذا.

فرضية البحث

الفرضيّة التي سننطلق منها في هذا البحث أنّ هناك جوانب عديدة من شخصيّة الزهراء نستطيع أن نستشفّها من خلال آيات القرآن الكريم، وأهمّ هذه الجوانب التي سنعمل على الإضاءة عليها هي التالية:

1 – عصمتها وعبادتها وعلاقتها بربها (آية التطهير)

2 – مكانتها في الدعوة الإسلامية (آية المباهلة)

3 – مكانتها العاطفية وأهميتها في الإسلام (آية المودة)

4 – علاقتها بمجتمعها (سورة الإنسان)

5 – السّيدة الزّهراء وسورة الكوثر

2. عصمتها وعبادتها وعلاقتها بربها

تعتبر علاقة الإنسان بربه الأساس الذي تبنى عليه شخصيته وعلاقته بالمخلوقات الأخرى من بشر وطبيعة فكلما كانت هذه العلاقة متينة ومبنية على العقيدة الصلبة كلما انعكس ذلك على توازن وتكامل شخصيته ، وكان ذلك التناغم بين ما يؤمن به وما يطبقه في الحياة. والسيدة فاطمة الزهراء خير مصداق على ذلك حيث ذابت في الخالق وجسدت العبودية الحقة في أعلى مراتبها. وآية التطهير تدلنا على هذا الأمر، فيقول الباري عز وجل في محكم كتابه **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** (الأحزاب.33) وقد أجمع المفسرون أنها نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين. ففي تفسير ابن كثير يقول: قال الإمام أحمد : «حدّثنا عفان، حدثنا حمّاد، أخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: « إن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: إنما يريد الله ليذهب..... ورواه الترمذي وروي أيضًا عن أبي الحمراء . وورد أيضًا في تفسير الطبري بنفس المعنى على لسان أم سلمة زوجة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. والرجس في هذه الآية يعني العمل القبيح أو الدنيء كما ورد في معجم المعاني الجامع. ويعني وسوسة الشيطان ولا يعني الرجس الظاهري فقط، بل هو إشارة إلى الأرجاس الباطنية فإطلاق هذه الكلمة ينفي انحصارها وكونها محدودة بالشرك والكفر والأعمال المنافية للعفة وأمثال ذلك، فإنها تشمل كل الذنوب والمعاصي والمفاسد العقائدية والأخلاقية والعملية (الأمثل، ج 13 ص226). فيتبين لنا أن أهل البيت عليهم السلام لم يقوموا طوال حياتهم بعمل قبيح أبدا ، وأكثر من ذلك أن الله طهّرهم تطهيرًا وهناك دلالة أخرى لهذه الآية أن الإرادة الإلهية حتميّة الوقوع والتنفيذ وهي نوع من الإمداد الإلهي الذي يعين أهل البيت على العصمة والاستمرار فيها ، وهي في الوقت نفسه لا تنافي حريّة الإرادة والاختيار. والسيدة فاطمة عليها السلام محور بيت النبوة وثمرته كان لا بدّ أن تكون في أعلى مراتب العبادة والعلاقة الخالصة مع الله تعالى، فقد جسّدت مرتبة العبودية بكل وجودها وبأعلى الدرجات كما روى عن الحسن البصري أنه قال: «ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورم قدماها «. وعن رسول الله (ص) أنه قال: «.....متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما

يزهو نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله عز وجل لملائكته: « يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار» (المجلسي، ج 37). وعن الحسن المجتبى عليه السلام: « ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تتورم قدماها « (إبن شهر آشوب). وقال الديلمي وابن فهد: روي أنّ فاطمة عليها السلام كانت تنهج في صلاتها من خيفة **الله** تعالى (الديلمي).

ومن المظاهر البارزة في عبادتها عليها السلام كثرة الصلوات والأدعية والأذكار التي خصّها بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت تواظب على أدائها في محرابها رغم أنها كانت تباشر شؤون المنزل وتربية الأولاد بنفسها . وقد علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذكاراً تقولها عند النوم وفي دبر كل صلاة، وهي معروفة بتسبيح فاطمة عليها السلام ، وكان السبب في تشريعها على ما أخرجه الشيخ الصدوق وغيره عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجلٍ من بني سعد : «ألا أُحدّثك عنّي وعن فاطمة عليها السلام، أنّها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحيت فانصرفت، فعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنها عليها السلام قد جاءت لحاجة فغدا علينا ... فقال : يا فاطمة ، ما كانت حاجتك أمسِ عند محمد؟ ... فقلت: أنا والله أُخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وجرّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل. قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفلا أُعلّمكما ماهو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحا ثلاثا وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدة، فقالت فاطمة عليها السلام: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسو له (الصدوق 1، 211).

أمّا عن دعائها وتهجدها فهناك الكثير من الأدعية التي وردت عنها عليها السلام ، وكما هو معلوم أن الدعاء هو صلة بين العبد وربه ومناجاة واتصال فكيف إذا وردت هذه الأدعية عن المعصوم، لذا كانت الأدعية أحد مصادر المعرفة الدينية. والأدعية التي وردت عن سيدتنا فاطمة عليها السلام كان منها ما هو لطلب الحوائج وتعقيبات الصلاة ولدفع الشدائد ، وقد جمعت أدعيتها في الصحيفة الفاطمية ومن هذه الأدعية دعاؤها في طلب مكارم الأخلاق حيث تقول: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك علي الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي . اللهم اني أسألك كلمة الإخلاص ، وخشيتك في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر. وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلي لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مظلمة. اللهم زينا بزينة الايمان، واجعلنا هداة مهديين، يا رب العالمين» (الصحيفة الفاطمية).

وبالخلاصة نقول إن السيدة الزهراء عليها السلام كانت مثال الإنسان الكامل المعصوم المنقطع إلى الله تعالى في جميع حركاته وسكناته. وكيف لا تكون كذلك وهي بضعة خير البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وربيبته ورضعت حب الله والفناء به من خديجة عليها السلام وأكملت مسيرتها مع نفس الرسول علي عليه السلام. فهي قدوة في عبادتها ليس للنساء فقط بل للرجال وعلى مدى الأزمان.

3. مكانتها في الدعوة الإسلامية

لم تكن السيدة فاطمة تلك المرأة التي همّها بيتها وتربية أبنائها والاهتمام بزوجها فقط، بل كانت تحمل هم الدعوة الإسلامية كما يحملها الرسول (ص)، وكما حملها الإمام علي عليه السلام. فكانت فاطمة قطعة من الإسلام المجسّد في محمد كما يعبّر سماحة السيد موسى الصدر في مقدمة كتاب «فاطمة الزهراء وتر في غمد « للكاتب سليمان كتاني.

ولعلّ آية المباهلة ومناسبة نزولها خير دليل على مكانة فاطمة في الدعوة الإسلامية، حيث تعتبر دليل على عظمة أهل البيت وبالتالي على عظمة الزهراء، فقد انحصر مفهوم « نساءنا « بها. وتُعد آية المباهلة من أهم الآيات التي أثبتت حجية فاطمة (عليها السلام)، إذ هذه الآية كانت مقام الفصل بين حقانية الدين الاسلامي ونسخ غيره من الأديان (السند). فمباهلة النبي (صلى الله عليه وآله) بعلي وفاطمة والحسن

والحسين يعني احتجاجه على النصارى بهؤلاء الذين هم الحجة على صدق دعوة النبي وبعثته. كما انّ المباهلة تعني بحسب ماهيتها أن النبي (صلى الله عليه وآله) جعل هؤلاء المتباهل بهم شركاء في دعوته، مما يعني أن مسؤولية الدعوة تقع على عاتقهم كذلك بحجيتهم ومقامهم، مشيرة إلى وجود تعاضد وتقاسم بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله). واللافت هنا أن تعيين شخصيات المباهلة ليس حالة عفوية ومرتجلة، وإنما هو اختيار إلهي هادف وعميق الدلالة وقد أجاب صلى الله عليه وآله حينما سئل عن هذا الاختيار بقوله « لو علم الله أن في الأرض عبادا أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني أن أباهل بهم ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء فغلبت النصارى « (المباهلة ، 66).

فهذه مقامات يمكن متابعتها في اصطلاحات القرآن الكريم وهي تفسّر مقام الزهراء (عليها السلام) وأنها بنصّ القرآن حجة من حجج الله تعالى في مصاف الأنبياء والرسل، وهذا المكانة العظيمة التي أعطاها الله لفاطمة، لم تنلها امرأة على وجه الأرض من الأولين والآخرين. وقد روي عن أبي جعفر (عليه السلام) في حجية فاطمة (عليها السلام) قوله: «ولقد كانت فاطمة (عليها السلام) مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش، والأنبياء والملائكة (عوالم العلوم ، 190) .

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن الله تعالى قد نصّب فاطمة عليها السلام حجة على حقانية الإسلام ونبوة نبيه وشريعته، وهذا أمر غاية في الأهمية ودلالة على عظيم مقام هذه المرأة في تثبيت وإرساء دعائم الإسلام والإيمان بالله تعالى. وقد احتج بها ولم يحصر الحجية بالنبي فقط، بل جعل الخمسة كلهم حجة على دينه. واللافت في الأمر أيضا أن الله لم يأمر النبي بدعوة زوجاته أمهات المؤمنين ولا الصحابة ولا سائر بني هاشم للاحتجاج على أهل الأديان الآخرى. إنّ هذا الاقتران الدائم بين الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ينضوي على مضمون رسالي كبير يحمل دلالات فكرية وروحية سياسية مهمة فالمسالة ليست مسألة قرابة بل هو إشعار رباني بنوع وحقيقة الوجود والإمتداد في حركة الرسالة والذي يمثله أهل البيت بما حباهم الله من إمكانات تؤهلهم لذلك. والسيدة فاطمة عليها السلام لم يقتصر دورها في الدعوة الإسلامية في هذه الحادثة أي ألمباهلة، بل كانت تلك المرأة التي وفقت بين كونها أم

وربة منزل وزوجة صالحة من الطراز الأول وبين عملها في مساندة الرسول في الدعوة الإسلامية والعمل على تعليم النساء أصول دينهم وأحكامه الشرعية لما كانت تتمتع به من علم وفهم فعن أبي جعفر عليه السلام قال: « لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله تعالى إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة ثم قال: «إني فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث « ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث».(بحار الأنوار ،ج 43 ، ص 16) وفي بيان هذا الحديث معنى فطمتك بالعلم أي أرضعتك بالعلم حتى استغنيت وفطمت، أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم أو جعلت فطامك من اللبن مقرونا بالعلم كناية عن كونها في بدو فطرتها عالمة بالعلوم الربانية، وبالتالي فهي تفطم الناس من الجهل، وهذا ما كانت تقوم به الزهراء عليها السلام في نشر العلم والوعي بين نساء المسلمين. ولعل أكبر دليل على عمق علمها الخطبة الفدكية التي تناولت فيها كل علوم الدين من العقائد إلى الأحكام وغيرها، فتقول عليها السلام فيها:» وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريته، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنته». ثم تردف بعد ذلك في تبيان علل بعض العبادات فتقول:» فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام (وذلاً لأهل الكفر والنفاق)، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون،

وأطيعوا الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء»، هذا جزء يسير من علمها بالدين وأحكامه وتشريعاته يظهر جليا في هذه الخطبة الغرّاء.

4. مكانتها العاطفية وأهميتها في الإسلام

لماذا الحديث عن العاطفة وما هو دورها في حياتنا؟ ولماذا طلب الرسول الأجر أن يكون المودة في القربى؟

يتميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان بأنه الدين الذي يوازن بين جميع أبعاد الإنسان المادية والروحية والعقلية والعاطفية ، حيث أن لكل بعد من هذه الأبعاد دوره في بناء شخصية المسلم وتوازنه واستقامته. من هنا نجد أن هناك كما هائلا من العواطف التي وردت في القرآن الكريم والتي لها تأثير كبير على حياة الإنسان وعلاقته بخالقه أولا وبالناس ثانيا ، ففي علاقة الفرد بربه لا يكتفي القرآن بعملية معرفة الله عقليا بل يتخطاها إلى المحبة المتبادلة بين الإنسان والله وهذا أسمى من المعرفة **(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)** المائدة 54 **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)** آل عمران 31.

إن الإسلام لم يفصل بين العقل والعاطفة فالإنسان وحدة متكاملة متفاعلة مع بعضها البعض، فإن كان العقل هو المسؤول عن التحليل المنطقي ويحكم على القضايا وفق معايير وحسابات صحيحة فإن العاطفة مسؤولة عن الرقة والليونة والأحاسيس النبيلة. وكلا العقل والعاطفة لا غنى للإنسان وبنائه الروحي عنهما، والعقل عندما يبتعد عن العاطفة يصاب بحالة من الاضطراب وإذا استمر في الابتعاد فإنه يتصلب ويصاب بغلظة القلب **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم)** آل عمران 159. فالمكوّن العاطفي للإنسان جزء مهم جدا من شخصيته وله دلالات نفسية واجتماعية كثيرة، فالإنفعال العاطفي وذرف الدموع هو أقصى ما يعبر به في حالات الحزن والفرح وهو دليل على تجذر الفكر والإيمان ليس في العقل فقط بل في القلب أيضا **(الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)** الزمر 24-23 فهذه القشعريرة دليل على التأثر العاطفي بآيات القرآن، وبالتالي فإن هناك أثرا مهما للدين

في صياغة الجانب العاطفي للإنسان ، والذي له التأثير الكبير والمباشر على سلوكه (الحاج دياب).

إذن الأبعاد الثلاثة للإنسان (الفكري والعاطفي والسلوكي) لا بد أن تتكامل مع بعضها البعض ، وكل بعد يؤثر ويتأثر بالأبعاد الأخرى لتُنتج في النهاية إنسانا متوازن الشخصية متصالحا مع ذاته مطيعا لأوامر ربه.

والسؤال الثاني الذي نطرحه هنا، لماذا طلب الرسول أجره هو مودة القربى؟

يقول الله تعالى في محكم كتابه **(ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور)** الشورى 23 . فقد ورد في مستدرك الصحيحين وفي الدر المنثور للسيوطي وفي تفسير الطبري بالإضافة إلى علماء الشيعة كالطبرسي والطبطبائي وغيرهم أنها نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين .

فما معنى المودة؟ وما هو الفرق بين المودة والحب؟ يُعتبر الحب من الصفات النفسيّة العاطفيّة القلبيّة، وقد يظهره المحب للمحبوب وقد لا يظهره. بينما تُعتبر المودّة من الصفات العمليّة وهي أثرٌ سلوكيٌّ متفرّع من الحبّ، فمن أحبّ شخصاً ما سيظهر له المودة بالتأكيد، فالحبّ هو المؤثّر والسبب والمودة هي الأثر الناتج عن الحبّ وكلّ حبّ وراؤه مودة. ومن هنا لم يكتف الله تعالى أن يقول محبة القربى، فالحب القلبي لا معنى له إن لم يترجم بسلوك عملي ظاهر. فمودة أهل البيت تعني تقبل ولايتهم وقيادتهم لأنها استمرار لقيادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واستمرار للولاية الإلهية والتي ستكون سببا لسعادة البشرية نفسها وستعود نتائجها إليها. لأنها تؤثر في هدايته الناس وتكاملهم وسيرهم بالاتجاه الصحيح الذي يريده الله ورسوله. بمعنى آخر عندما تكون مودة أهل البيت جزاءً للرسالة النبوية فهذا يعني أن النبوة لا تكتمل من دون الولاية، وولاية أهل البيت تحتاج إلى الإيمان العقلي والقلبي بالدرجة الأولى ويجب أن تقترن بالمحبة والمودة ليترجم ذلك فيما بعد عملا وسلوكا متناغما مع ولاية أهل البيت.

بعد هذا العرض الذي مرّ معنا نأتي الآن إلى موضوع بحثنا وهو السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فما يصح على أهل البيت يصح عليها لأنها كما ذكرنا سابقا هي صلة

الوصل بين النبوة والإمامة فمودتها واجبة على كل مؤمن ومؤمنة. وإضافة إلى ما ذكر في القرآن الكريم بهذا الشأن، نرى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يترك فرصة إلا وعبّر عن حبه لابنته وبالطبع هو يريد بذلك أن يبين فضلها وقدسيتها ومكانتها عنده لتكون حجة على المسلمين من بعده، فقد ورد عن عائشة قالت: «ما رأيت من الناس أحدا أشبه كلاما وحديثا برسول الله من فاطمة كانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقبّل يديدها واجلسها في مجلسه .....» (بحار الأنوار، ج43، ص 25) وفي حديث آخر يبين مكانة فاطمة عند النبي « إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها « (مسند أحمد 4، 328) ويقول أيضًا «**هي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني.**» وهناك الكثير من الأحاديث التي تبين المكانة العاطفية التي تحتلها في قلب أبيها.

نستخلص مما مرّ معنا أن العقل والعاطفة يجب أن يمتزجا سوية عند كل إنسان مؤمن والعاطفة لا تعني الانفعال اللاواعي العرضي الذي لا يدوم طويلا بل هي اتجاه يتبناه الانسان بشكل ثابت هذا التبني مبني على العقل وتأتي العاطفة لاحقا لتجعله حيويا نابضا بالحياة مترجما سلوكا عمليا لهذا فإن الله تعالى يقول على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يريد أجر رسالته حب آل البيت لأنهم الامتداد لنبوته ورسالته، وبالتالي فإن السيدة فاطمة هي اكتمال النبوة وقرينة الولاية ومنبع الإمامة، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على عظمة وقدسية فاطمة عليها السلام.

5. علاقة الزهراء بمجتمعها

يتميز الدين الإسلامي عن غيره من ألشرائع والنظم الوضعية أنه نظام للأفراد وللمجتمع ككل. والهدف الأهم في تأسيس المجتمع هو عبادة الله تعالى بطريقة أفضل (**وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)** الممتحنة 4. فالقيم والنظم اتي يجب أن تحكم المجتمع هي القيم الإلهية لأنها تؤثر إيجابيا على كمال أفراده (اليزدي ج 3 ص 30) فالعلاقات داخل المجتمع تنجح إذا امتثل الناس لأوامر الله تعالى والتعامل فيما بينهم كما يرد في القرآن الكريم (**إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان**) النحل 90 .

فالعدل في المجتمع يعطي كل ذي حق حقه ويشعر أفراده بالأمن الاجتماعي أمّا الإحسان فهو أكثر من العدل هو أن يهب صاحب الحق حقه بطيبة خاطر من أجل مصلحة أخروية وهو ما يُشعر الأفراد بالألفة والمحبة فيما بينهم وبالتالي يوطد أواصر العلاقات المتينة في المجتمع الذي يؤدي إلى تكامله وتطوره (الجاج دياب، 91) .

ولعلّ أفضل وأكمل مصداق من مصاديق الإحسان المادي والمعنوي هو قصة الإمام علي عليه السلام وأهل بيته حين أعطوا كل ما يملكون من طعام لمسكين ويتيم وأسير وبقوا ثلاثة أيام صائمين لم يدخل جوفهم إلا الماء وقد نزلت بحقهم هذه الآيات **(يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتميما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا، إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)** (الإنسان 10–7). إنّ الدافع الوحيد والأساسي لعملهم هذا هو وجه الله تعالى والخوف منه لا ليكسبوا من وراء ذلك قيمة معنوية بشكر الناس لهم على هذا العمل، ولا ربحا ماديّا معينا وهذا يعتبر قمّة العطاء والبر وليس فوقه بر. فقد بدأت الآيات بـ **(ويخافون يوما كان شره مستطيرا)** وانتهت أيضا بقول **(إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)** وهذا يؤكد أن حسابات أهل بيت النبوة كانت أخروية وليست دنيوية. إنّ آية الإطعام تحدّثت حول من وصفتهم الآيات السابقة بـ ((الأبرار))، وكان لهم خصالٌ نبيلة، منها: يوفون بالنَّذر على أفضلٍ وجهٍ وأحسنه، بل في أعسر حالٍ وأصعبه، إذ وصف تعالى ذلك في قوله: «**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**»، فذهب بعض المفسّرين أنّ الضمير في (حبّه) عائدٌ على الطعام ظاهراً، إشارةً إلى شدّة الحاجة إلى ذلك الطعام بعد صومٍ وجوع، واعتماداً على قوله تعالى: «**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**» (سورة آل عمران، 92) .وفي أمالي الصدوق قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ظلّ آية الإطعام متحدّثاً عن جدّه عليّ وجدّته فاطمة وأهل بيتها صلوات الله عليهم، و يقولون إذا أطعموهم: «**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً**»، والله ما قالوا هذا لهم، ولكنّهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر اللهُ بإضمارهم. يقولون: لا نريد جزاءً تكافئوننا به، ولا شكوراً تثنون علينا به، ولكنّا إنّما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه. وفي هذه القصّة والسورة أسرارٌ شريفة ...ثمّ ذكر ثمانية أسرار جاء فيها قوله: إنّه إذا كان القصدُ رضاء الله تعالى، هان كلُّ مبذول. وإنّ الله تعالى اطّلع على صفاءِ سرائر

أهل البيت في الإخلاص، فجاد عليهم بخلع أهل الاختصاص (أي الهدايا الخاصّة). وإنّه لم ينزل مدحٌ في سورةٍ من القرآن كما نزلت فيهم عليهم السلام على هذا الإيضاح والبيان. وإنّ من تمام الإخلاص في الصدقات، أن لايراد من الذي يتصدّق عليه جزاءٌ ولا شكورٌ بحالٍ من الحالات. وإنّ الإيثار وقع من كثيرٍ من القرابة...فلم ينزل من الثناءِ ما نزل على مولانا عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وكتب ابنُ شهر آشوب المازندرانيُّ السَّرَويّ في مؤلّفة (مناقب آل أبي طالب): إنّ عالماً سئل: إنّ الله تعالى قد أنزل (هل أتى) في أهل البيت، وليس من نعيم الجنّة إلاّ وذكر فيه، إلاّ الحور العين؟! فقال: وذلك إجلالاً لفاطمة عليها السلام. فأيُّ مقامٍ للصدّيقة الزهراء فاطمة صلواتُ الله عليها حتّى حفظ اللهُ تبارك وتعالى حرمتها في كتابه المجيد، وبين آياته النازلة في ذكر النعيم، والجزاء العظيم؟! وأيُّ شأنٍ لها عندالله جلّ وعلا حتّى أنزل فيها آياتٍ بيناتٍ مباركات، تتلى آناء الّيل والنهار، فتصدع بفضائلها وفضائل أهل بيتها الأبرار.

فسلامٌ على الصدّيقة الزهراء فاطمة إذ تجوع لتطعم الجياع، وسلامٌ عليها إذ لا تشبعُ ولا يشبعُ أهل بيتها لينعم الآخرون بطعامها المبارك، فيكون منها الإخلاص والإيثار، ويكون لها من الله تعالى حسنُ الذّكر في كتابه المجيد: «**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**» فى حديثٍ مفصّل عن التكريم، حتّى يقول تعالى لهم: «**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً**". من هنا يتبين لنا أن السيدة فاطمة عليها السلام لم تكتف بالعبادة والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء والتهجد آناء الليل وأطراف النهار والإنقطاع إلى الله فقط بل أرادت أن تعلمنا درسا يبقى مدى التاريخ هو أن الإيمان يجب أن يقترن بالعمل الصالح كما ورد في القرآن الكريم (**لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) النساء 114.**

بالإضافة إلى ما ورد في الآيات السابقة فإن فاطمة عليها السلام عندما كانت تقوم بين يدي الله للصلاة والدعاء كانت تدعو لجيرانها ولا تدعو لنفسها فسألها الإمام الحسن عليه السلام عن ذلك فقالت :» يا بني الجار ثم الدار « فقد كانت عليها السلام تُؤثر جيرانها على نفسها حتى في مناجاتها لله تعالى . فلم تتعامل مع مجتمعها كما تتعامل بنات القادة مع عامة الشعب ، بل كانت مثالا للتواضع والتعاطف والإحسان إلى كل

من يعرفها ويتعامل معها، لقد أعطت فاطمة دروسا للرجال والنساء على مدى التاريخ وكانت الأنموذج الأكمل والأجمل لابنة خير نبي في علاقاتها كلها . إضافة إلى ذلك فقد كانت عليها السلام تبذل من العلم الديني لكل من يسألها وتبين أحكام الشريعة خاصة للنساء، ففي رواية عن الإمام العسكري (عليه السلام) انه قال: حضرت امرأة عند الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) فقالت: إنّ لي والدة ضعيفة وقد لُبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها الزهراء (عليها السلام) عن ذلك، فثنت فأجابتها، ثم ثلّثت إلى عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله، فقالت الزهراء(عليها السلام): هاتي وسلي عمّا بدا لك، أرأيتِ من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مئة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكلّ مسألة بأكثر مما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليَّ (بحار الأنوار، ج2،ص 3).

6. الزهراء وسورة الكوثر

يقول المفسرون في سبب نزول سورة الكوثر أن أحد أقطاب المشركين، وهو العاص بن وائل، التقى يوماً برسول الله (صلى الله عليه وآله) عند باب المسجد الحرام، فتحدّث مع النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك بمرأى من جماعة من صناديد قريش، وهم جلوس في المسجد الحرام، فما أن أتمَّ حديثه مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وفارقه، جاء إلى أولئك الجالسين، فقالوا له: من كنت تُحَدِّث ؟

قال: ذلك الأبتر، وكان مقصوده من هذا الكلام أن النبي (صلى الله عليه وآله) ليس له أولاد وعقب، إذن سينقطع نسلُه ، فكان هذا سبباً لنزول سورة الكوثر وهي(**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** (سورة الكوثر). رَدّاً على العاص الذي زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) أبتر. أما المعنى، فهو أن الله سوف يُعطيك نسلاً في غاية الكثرة ، لا ينقطع إلى يوم القيامة.

وقال فخر الدين الرازي في تفسيره: الكوثر أولاده (صلى الله عليه وآله)، لأن هذه السورة إنما نزلت رَدّاً على مَن عَابَهُ (صلى الله عليه وآله) بعدم وجود الأولاد. فنزلت الآية لكي تُقرِّر في الحقيقة أمرين:

الأول: أنَّ البنت هي كالإبن، من حيث اعتبارها من الذرِّية والنسل والعقب. فالله يريد أن يبين للناس أن الأنثى لا تقل مكانة عن الذكر وهما أمام الله سواسية (**يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير**) الحجرات13 .

الثاني: إنّ الله عَزَّ وجَلَّ سَيرزُقُ النبي (صلى الله عليه وآله) من هذه البنت نسلاً وذرية، وإن اسمه (صلَّى الله عليه وآله) سيبقى حياً ومتألقاً على مرِّ العصور، وعلى طول التاريخ. وذرية الرسول من فاطمة لم يكونوا امتدادا جسميا للرسول صلى الله عليه وآله فحسب، بل كانوا امتدادا رساليا صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظة عليه، وكان منهم أئمة الدين الاثنا عشر، أو الخلفاء الاثنا عشر بعد النبي كما أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحاديث المتواترة بين السنة والشيعة، وكان منهم أيضا الآلاف المؤلفة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين وقادة الأمة (الأمثل ج 20 ص 502). وبما أن علماء الأمة الإسلامية هُم حُمَاة الشريعة، والذين يدفعون عنها كل الشُبُهات فما كان عِلمهم إلاَّ من نتاج هذا الكوثر. وكون المذهب الشيعي منبثق من أهل البيت (عليهم السلام)، وهُم درٌّ مستخرج من بحر فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ولؤلؤ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، والعلماء يأخذون من فيض هذا البحر العميق بلا قاع.

فيمكن القول أيضاً: إن من مصاديق الكوثر هو ما يقدّمه العلماء الكرام من خدمات رسالية جليلة للإسلام، حيث إنهم يشرحون ويفسرون القرآن ويقدمون أحكام الإسلام بطريقة عملية وسهلة وبفضل جهودهم استمر الفكر الإسلامي في العطاء في شتى أنواع المعرفة .

إنّ استمرارية نسل الرسول الأكرم لا تقتصر فائدتها على وجود العلماء الأعلام وعلى نشرهم العلم فقط ، بل إنّ هناك فائدة مهمة للغاية وهي أن استمرار الذرية إلى قيام الساعة يعني بقاء الثقافة القائمة على أسس الإسلام ومبادئه . ومن المعلوم أن الثقافة تنتقل من جيل إلى آخر عبر تربية الأبناء ، فالأهل يربوا أولادهم على المبادئ التي يؤمنون بها وهكذا تنتقل هذه الثقافة وتتأصل وتستمر وتنتشر في المجتمعات كافة من هنا نعي قول الرسول الأكرم فعنه صلى الله عليه وآله وسلم" **:تناكحوا تناسلوا،**

أباهي بكم الأمم يوم القيامة « (مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج 41، ص 153). فمباهلة الرسول بأمته يوم القيامة ليس بسبب كثرة عددهم، بل لأنهم يحملون في عقولهم وقلوبهم مفاهيم الإسلام الحنيف ويطبقونها لأن الهدف من الذرية هو (**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**) الفرقان 74، والنبي إبراهيم عليه السلام يبين لماذا ترك هاجر والنبي إسماعيل في الصحراء **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**) إبراهيم 37 . إذن الهدف من الذرية هو بناء مجتمع إسلامي صالح وهنا تكمن العظمة في جعل ذرية النبي محمد من نسل فاطمة الزهراء .

7. العبر المستفادة

بعد أن استعرضنا فيما سبق تفسير الآيات القرآنية التي نزلت بحق أهل البيت بالعموم وحق السيدة فاطمة موضوع بحثنا، مع الإشارة أننا لم نورد كل الآيات واكتفينا فقط بتلك التي توافق علماء الشيعة والعامة على تفسيرها تتبيان سبب نزولها . لم ندخل في بعض الآراء المخالفة لأن معظم علماء العامة توافقوا مع تفسيرات علماء الشيعة وبالحقيقة فإن بحثنا لا يناقش وجهات النظر المختلفة بقدر ما هو لإلقاء الضوء على شخصية هذه المرأة العظيمة والمكانة التي منحها الله لها والتي وصلت إلى أن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها . إذن هناك خاصية اختص بها الله هذه السيدة لتكون سيدة نساء نساء العالمين، وفيما يلي سنعمد إلى استخلاص الملكات الروحية والنفسية والاجتماعية التي نالتها من خلال ما تقدم معنا من آيات مباركة . ويجدر الذكر هنا أننا لن نتحدّث عن ملكاتها الأخلاقية فيكفي أنها ربيبة بيت النبوة وهي بضعة الرسوا الأكرم . وما سنورده لاحقا لا يتعدى أن يكون الدروس التي نتعلمها من فاطمة لتكون منارة نهتدي بها في حياتنا العملية .

أ) الملكات الروحي

وقد تمثلت هذه الملكات من خلال آية التطهير، فإن كان الله تعالى قد أذهب عنها الرجس إن في الأفعال أو الأقوال وحتى الرجس في التفكير فقط وطهرها تطهيرا ، فلم تقم بأي عمل منافٍ لذلك طيلة حياتها ،إلا أنّ هناك مسألتين يجب أن نلتفت لهما:

1 – لو لم تكن السيدة الزهراء أهلا لهذا الأمر لما حباها الله به فهي تمتلك الأرضية الخصبة لاستقبال هكذا تكريم منه تعالى،ولها لياقة ذاتية موهوبة لها من قِبل الله تعالى لتستطيع أن تكون قدوة للناس كيف لا وهي ثمرة من ثمار الجنة ، وقد ورد في كتب السيرة أنّ عائشة سألت الرسول الأكرم : « لم تكثر من تقبيل فاطمة؟ فقال رسول الله (ص) : عندما أسرى بي في تلك الليلة أخذني جبرائيل إلى جوار تلك الشجرة وناولني ثمرة قطفت منها فتحولت تلك الثمرة إلى ماء في صلبي ومن ذلك الماء انعقدت نطفة الزهراء (ع) فكلما قبلتها شممت رائحة الجنة «.(الكاظمي)

2 – لئن كان فعل التطهير وإذهاب الرجس عن السيدة فاطمة هو فعل إلهي فإنّ ذلك لا ينفي إرادة الإختيار لديها . فمع امتلاكها الخيار في فعل ما تريد إلا أنّ عدم ارتكاب الخطأ ينبع من أعماق وجودها نتيجة المعلومات والإطلاع ، والمبادئ الفطرية والطبيعية ، من دون أن يكون في الأمر جبر وإكراه لها من الله . (الأمثل) . ومن هنا ندرك عظيم عبادة فاطمة وصلاتها وقيامها الليل حتى تتورم قدماها ، وندرك مدى ذوبانها في الذات الإلهية والإنقطاع عن أي مظهر من مظاهر حب الدنيا . فالزهراء تعلمنا درسا مهما أن بقدر ما تكون علاقتنا بالله متينة وقوية كلما انعكس ذلك رضا واطمئنانا وقناعة ، بغضّ النظر عن الظروف المادية التي نعيشها.

ب) الملكات النفسية

إذا أردنا أن نعدد الملكات النفسية التي كانت تتمتع بها السيدة فاطمة عليها السلام لاحتجنا إلى مجلدات لنشرح ونبين أهمية كل ملكة من ملكاتها عليها السلام . لكننا في هذه العجالة سنحاول أن نقف على أهمها في مختلف أدوارها .

1 – كابنة : كانت نعم البنت فقد ملأت فاطمة الزهراء بيت الأبوين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، بالبهجة و السرور ،فهي ملتقى الحب بينهما، و ثمرة العلاقة الودية في حياتهما، و فرع النبوة الشامخ ،و ظله المستطيل، و مستودع نور النبوة المتقلب في أصلاب الساجدين، فحق لهذا البيت أن يزهو بمناغاة فاطمة عليها السلام، ويمتلئ سرورا بابتسامتها المشرقة. و شاء الله تعالى أن تبدأ فاطمة الزهراء رضي الله عنها طفولتها الطاهرة في مرحلة من اشد مراحل الدعوة الإسلامية ضراوة و محنة، وقد حوصرت مع والديها في شعاب مكة، فتحمّلت

ما تحمله الكبار في هذا الحصار على صغر سنها . وقد كانت على صغر سنّها، نعم السند لأبيها في مكة، خاصة بعد وفاة خديجة، فعندما نالت قريش من رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنشر على رأسه التراب، فدخل رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة (عليها السلام) فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي، ورسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) يقول لها: (لا تبكي يا بنية، فإنّ اللّه مانع أباك) (سيرة ابن هشام، ج1 ص 416).

2 – كزوجة : كانت فاطمة تختلف عن باقي النساء، فالمرأة غالبا تهنأ بدفء الحياة الزوجية واستقرارها ، و قرب زوجها منها ، غير أن فاطمة رضي الله عنها التي أعدها النبي صلى الله عليه وسلم قدوة للمؤمنات كانت سعادتها منذ بدء زواجها بخروج زوجها عليه السلام مع أبيها محمد صلى الله عليه وسلم للغزو و الجهاد في سبيل الله، مع ما يستغرقه السفر من مشاق لطول المدة آنذاك ، حيث كانت بعض الغزوات و الحروب تمتد لسنوات و شهور ، و ما تشكله الحروب من خطر على نفسها و على زوجها و أبيها، إلا أنها كانت صابرة على غيبة زوجها مع أبيها. و لقد صبرت على الفقر مع زوجها، و كانت عليها السلام تلتزم بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جهاد المرأة حسن التبعل)، و لذلك يقول علي عليه السلام يصف حالها و هي تقوم بخدمة بيتها و تربية أبنائها : (إنها جرت بالرحى، حتى أثر في يدها و استقت بالقربة حتى أثر في نحرها ، و كنست البيت حتى أغبرت ثيابها و أوقدت النار حتى دكنت ثيابها، و أصابها من ذلك ضر..) . لقد كانت خير زوجة لخير إنسان، فقد آزرته ووقفت إلى جانبه في كل المحن التي تعرّض لها الإمام علي عليه السلام .

3– كأم : عندما أصبحت عليها السلام أمّاً، باتت مواقفها التربويّة محطّة نحاول أن نقرأها بعين علم التربية الحديث، لنستقي منها أساليب عمليّة كانت تقوم بها الزهراء عليها السلام في تربية أولادها. فقد كانت سلام الله عليها تمنح أولادها الحب والرعاية والاهتمام ، إضافة إلى معاملتهم بالعدل وعدم التمييز بينهم . وفي هذا المجال نستطيع أن نؤلف كتب في التربية الإسلامية التي كانت تطبقها فاطمة عليها السلام على عائلتها، ولكن سنكتفي بالكلام عن بعض الأساليب التي استخدمتها عليها السلام

والتي نطلق عليها بعض المصطلحات الحديثة للتربية، كالتربية «بالعادة»، والتربية «بالقدوة» والتربية «بالموعظة».

فقد كانت تعود أولادها على نمط و سلوك معيّن خاصة في المسائل العبادية ، فحين يراها أبناؤها وهي تقوم الليل وتصوم النهار فإنهم سيعتادون على هذا السلوك أيضا . وعندما أعطت للمسكين واليتيم والأسير قوتها فإن أولادها سيعتادون على البذل والعطاء. وعوّدتهم عليها السلام أن تصبر على غياب أبيهم لأجل الجهاد في سبيل الله دون تململ أو شكوى، فصبرت صبراً جميلاً، وتحمّلت الصعوبات الماديّة والضغوطات النفسيّة ممّن حولها تقرّباً إلى الله تعالى.

كانت السيّدة الزهراء عليها السلام نِعم القدوة لعامّة المسلمين إلى يوم القيامة، وكذلك حال أولادها الذين هم في دارها، فقد ربّتهم على الوقوف في وجه الظالمين، فكان أولادها في مواقفهم كالزهراء عليها السلام يتجرّعون كل الأذى في سبيل الدين. فكان لسان حال الإمام الحسين عليه السلام" **:إنْ كان دين محمد لم يستقِم إلّا بقتلي، فيا سيوف خذيني**» . ربّت السيّدة الزهراء عليها السلام أولادها بالموعظة الحسنة، ويروى عنها الكثير من الروايات والأحاديث التي تتحدّث فيها عن ثواب الأعمال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعندما ينظر إليها الحسن عليه السلام ويراها تتعبّد في محرابها حتى تتورّم قدماها وهي تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، يسألها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فتقول» **:يا بنيْ، الجار ثم الدار**».

هذه لمحة عامة عن ملكات الزهراء النفسية في مختلف مراحل عمرها الشريف، مع الإشارة إلى أننا لم نتطرّق إلى صفاتها الأخلاقية لعجزنا عن الإحاطة بأخلاقها، لأنها تعلّمت الأخلاق مِن مَن وصفه الله « **وإنك لعلى خلق عظيم** « (القلم، 4).

ج- ملكاتها الاجتماعية

كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) الى جانب القيام بمهام البيت ورعاية شؤون اسرتها تشارك في عملية نشر الرسالة الإسلامية، فتقوم بعملية نقل وتعليم ما تسمعه عن ابيها رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) الى المسلمين. فكانت المعلمة الأولى للمسلمات

اللواتي يقبلن على بيتها فاهمات متعلمات فتفيض عليهن بما وعته من علم وتثقفهن بثقافة العصر وتشجّعهن على طلب العلم والمعرفة، وهكذا كان بيتها المدرسة الأولى في الإسلام للمرأة، اذ تمكنت من قيادة المجتمع وبالأخص الشريحة النسوية من بيتها. وخير دليل على عمق دور التربية والتثقيف الذي كانت تمارسه الزهراء (عليها السلام) هو ما ورد في الروايات عن جاريتها فضة التي ما تكلمت الا بالقران لمدة تزيد عن عشرين عاما ولم تقتصر الزهراء (عليها السلام) على تثقيف الافراد بل انها انصرفت الى توعية الجماهير عندما تطلبت الرسالة المحمدية ذلك، والشاهد على ذلك خطبتها في مسجد رسول الله امام حشد من المهاجرين والانصار، وفيها دعوة الى مقاومة الظلم والاستبداد والتمسك بتعاليم الله وتعاليم رسوله، فكانت خطبتها سياسية اجتماعية وعقائدية، بمعنى اخر كانت خطبة شاملة عامة أحاطت بكل متطلبات الظروف التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية حينذاك. ومواقف قيادية أخرى للزهراء (عليها السلام) في محاولاتها لتثقيف الأمة ونشر الوعي بين افرادها، حين كانت تدور على بيوت المهاجرين والانصار في محاولة هز ضمائرهم ليتحركوا في الوقوف بجانب الحق ونصرة الدين.

وهكذا تجسّد الزهراء (سلام الله عليها) دور المرأة القيادية المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهية للناس اجمع، والمستعدة دائما لمواجهة كل الظروف وتحمل كل المسؤوليات التي يتطلبها المجتمع الإسلامي.

وقد اشتركت فاطمة في مقدمة النساء المسلمات في الحروب التي خاضها المسلمون دفاعا عن عقيدتهم وصيانة لكرامتهم وحريّتهم وقامت بدورها، الدور الذي كان ملقى على عاتق المرأة المجاهدة في ذلك العصر، من ضماد الجرح وغسل الثياب وتمريض الجرحى وتحضير كافة وسائل الحياة في الحرب (كتاني، ص 37)

8. خاتمة:

هكذا عاشت السيدة الزهراء فكانت مثال المرأة القادرة على أن توائم بين وظيفتها كزوجة وأم وابنة نبي الأمة وقائدها وبين أن تكون إمرأة فاعلة في مجتمعها يهمها ما يهم الناس ويسرّها ما يسرّهم . وكانت العون لكل من يحيط بها من جيران وغيرهم ، لقد جسّدت فاطمة الكمال الإنساني بكل أبعاده فاستحقّت عن جدارة لقب سيدة نساء العالمين . فالسلام عليك سيدتي يوم ولد ويوم استُشهدتِ ويوم تبعثين .

وأخيراً أسأل الله أن يكون هذا العمل المتواضع في عينه وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح .

9. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. دار إبن حزم .
- الحاج دياب، نوال. الذكاء العاطفي في القرآن الكريم. دار الولاء – بيروت.
- الشيرازي ، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ط 1 دار البعثة – بيروت.
- الصدر ، محمد باقر . المدرسة القرآنية . دار التعارف –بيروت .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي. أمالي الصدوق. المطبعة الحيدرية.
- الطبطبائي ، محمد حسين.الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي _ بيروت
- الكاظمي ، عقيل محمود. الدور الأسري للسيدة فاطمة . (من الإنترنت)
- المجلسي ، محمد باقر. بحار الأنوار ج 43 ط 1 دار الاتحاد الثقافي – بيروت.
- النوري ، ميرزا حسين . مستدرك الوسائل .مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث .
- اليزدي، محمد تقي مصباح . الأخلاق قي القرآن . دار التعارف – بيروت.
- شرف الدين ، عبد الحسين .المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة .(من الإنترنت)
- شعبة التبليغ في مركز الدراسات الفاطمية – البصرة . شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام .
- كتاني، سليمان. فاطمة وتر في غمد. مؤسسة الوفاء _ بيروت